فن الموشحات الأندلسية

تعريف الموشحات

الموشحات فن شعري نشأ في الأندلس خلال القرن الثالث هجري ، بمعنى التزيين والتنميق

قال ابن خلدون في تعريفه لفن الموشحات:  ” وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا ، وأغصانا أغصانا ، يكثرون من أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة .

وأكثر ماتنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراس والمذاهب ؛ وينسبون فيها ويمدحون كما يُفعل في القصائد ” .

من الذي اخترع فن الموشحات ؟

وقد تضاربت الأقوال والآراء في أصل من سبق لهذا الفن ، وسنعرض آراء السابقين وأقوالهم

– قال ابن بسام ( صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ) : ” وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريقتها – فيما – بلغني – محمد بن محمود القبري الضرير ” .

– قال ابن خلدون : ” وكان المخترع لها ( أي فن الموشحات ) بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله بن عبد ربه الأندلسي صاحب كتاب العقد ، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما ، فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب ألمرية ” .

سبب اختراع فن الموشحات

انتشار الغناء ، اختلاط العرب بالأجانب في إسبانية واطلاعهم على آدابهم وأغانيهم الشعبية المتحررة من القوافي والأوزان .

وهناك رأي آخر يرجع أصل فن الموشحات إلى المشرق ، وأن موشحة ” أيها الساقي ” للشاعر العباسي ابن المعتز ، أول موشحة في [الأدب العربي](https://analbahr.com/%D9%85%D9%82%D8%AF%D9%85%D8%A9-%D9%88%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%88%D9%85%D8%B6%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%AA%D8%A7/) ، ومطلعها :

أَيُّها الساقي إِلَيكَ المُشتَكى

قَد دَعَوناكَ وَإِن لَم تَسمَع

ولكن علماء الأدب يشكون في نسبتها إليه لأن مؤرخي ابن المعتز لم يذكروا موشحته هذه التي رويت لشاعر آخر أندلسي يقال له الحفيد بن زهر ، ولأن المؤرخين أجمعوا على القول أن الموشحات من مستنبطات الأندلسيين .

بناء الموشحات ؟

تتألف الموشحات من عناصر وأصول تنقسم على الشكل التالي :

1 – القفل: هو بيت أو عدة أبيات من الشعر تبتدئ بها الموشحات في أغلب الأحيان ، وتتكرر قبل كل بيت منها . ويسمى القفل سمطا لأنه كالقلادة في الموشح ؛ ويسمى أيضا اللازمة للزوم تكراره عند كل بيت .ويشترط في الأقفال التزام القافية ، والوزن ، والأجزاء ، وعدد الأبيات الشعرية . وهكذا تكون كلها في الموشحة ذات موسيقى لفظية وتلحينية واحدة .والقفل لا يكون أقل من جزئين ، وقد تبلغ أجزاؤه الثمانية ، وقد تبلغ أيضا التسعة أو العشرة إلا أن ذلك نادر :

القفل المركب من جزأين :

شمس قارنت بدرا

راحٌ ونديم

القفل المركب من ثلاثة أجزاء :

حلّت يد الأمطار\*\* أزرة النوّار\*\* فيأخذني

القفل المركب من أربعة أجزاء :

أدِر لنا أكواب\*\* يُنسى بها الوجَد\*\* واستحضر الجُلّاس \*\* كما اقتضى الود

2 – البيت: وهو ما نظم بين القفلين من أبيات شعرية ، وهو يسمى الدور . ويشتمل البيت على أجزاء تسمى أغصانا وهي تتعدد بتعدد الأغراض والمذاهب . ويتألف البيت على الأغلب من ثلاثة أجزاء وقد يتألف من جزأين أو ثلاثة أجزاء ونصف .ومن شروط الأبيات أن تكون كلها متشابهة وزنا ونظاما وعدد أجزاء ؛ وأما الرويّ فيحسن تنويعه .

ومن عادة الموشح أن يبدأ بقفل وينتهي بقفل ، وأن يتردد فيه القفل ست مرات ، فإن كان الأمر كذلك سمي الموشح تاما ؛ وإن بدأ الموشح بالبيت سمي أقرع . وهكذا يتردد القفل خمس مرات في الموشح الأقرع وست مرات في الموشح التام .

3 – الخرجة: هي القفل الأخير من الموشح . وقد اشترطوا فيها أن تكون فكاهة ، ملحونة الألفاظ ، جارية على لسان ناطق أو صامت ؛ فهي عادة عامية غير معربة إلا في بعض المدح .

قال ابن بقي :

ليل طويل \*\* وما معين \*\* يا قلب بعض الناس \*\* أما تلين

وتكون الخرجة قولا مستعارا على بعض الألسنة ، وأكثر ما تُجعل على ألسنة الصبيان والنسوان والسكارى . ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من : قال ، أو قلتُ ، أو غنى ، أو غنيتُ .

أغراض فن الموشحات

أوجد الموشح ، أول الأمر للغناء وكان من أغراضه الغزل والخمر والمجون ووصف الطبيعة . لكن ما لبث أن توسع الشعراء في معاني الموشحات فنظموها في الهجاء والرثاء والتصوف والزهد

خصائص فن الموشحات

كثرة المحسنات اللفظية ،(المجاز والتشابيه والاستعارات والكنايات) .

 قال ابن سناء الملك : ” والموشحات تنقسم قسمين : الأول ما جاء على أوزان أشعار العرب ، والثاني ما لا وزن له فيها ولا إلمام .

والقسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب ، وهذا القسم منها هو الكثير والجم الغفير.

مختارات شعرية من فن الموشحات: رائعة ابن الخطيب وموشح ” جادك الغيث ” :

جــادك الغيــث إِذا الغيـث همـى  \*  يــا زمــان الــوصل بــالأَندلسِ

لـــم يكــن وصْلُــك إِلاّ حُلُما  \*  فـي الكـرى أَو خُلسـة المخـتَلِسِ

إذ يقــود الدّهــرُ أَشــتاتَ المُنـى

ينقــلُ الخــطوَ عـلى مـا يرسـمُ

زُمَـــرًا بيــن فُــرادى وثُنًــى

مثــل مــا يدعـو الوفـودَ الموْسـمُ

والحيــا قــد جـلَّل الـرّوض سـنا

فثغـــور الزّهــرِ فيــه تبســمُ

وروى النُّعمــانُ عـن مـاءِ السّـما  \*  كــيف يَــروي مـالِكٌ عـن أنَسِ؟

فكســاه الحُســن ثوبا معلما  \*  يــزدهي منـــه بــأبهى مَلبسِ

فــي ليــالٍ كــتَمَتْ سـرَّ الهـوى

بــالدُّجى لــولا شــموس الغُـرَر

مــال نجــمُ الكـأس فيهـا وهـوى

مســـتقيمَ السّــيرِ سَــعْدَ الأَثَــرِ

وطَـرٌ مـا فيـه مـن عيـبٍ سـوى

أَنّـــه مـــرّ كــلمْح البصَــرِ

الموشحات الاندلسيه بين ناقديها قديماً وحديثاً

حظيت الموشحات الأندلسية، وما زالت تحظى، بمكانة مرموقة بوصفها غصناً رطيباً جادت به الطبيعة الأندلسية الغناء حينذاك وما يزال ينضح  بالرقة والعبق والعذوبة، ويذكرنا دوماً بطبيعة الأندلس  ولياليها العامرة بالأنس والطرب والغناء.

وإذا كان القدماء- مشارقة ومغاربة- قد اعترفوا بفضل الأندلسيين في اختراع هذا الفن ورحبوا به، وعدوه مما ترك الأول للآخر، ومما أغرب به أهل المغرب أهل المشرق، فإن النظرة المملوءة بالإعجاب إلى هذا الفن ما تزال ماثلة إلى اليوم!.

فلقد أعجب الأقدمون والمحدثون بهذا الفن وهم يستمعون إليه وسجلوا جوانب تمس هذا الفن وتمس مبدعيه، ورصدوا قضاياه المتنوعة وبحثوا عن أسراره الشكلية والوزنية والموضوعية وجمالياته، وإبراز قضايا خلافية فيه، وفي أصله ووزنه وقافيته.

             وعلاقات التأثر والتأثير فيه، ومصطلحاته .

ومن الدارسين الذين تناولوا الموشح : د. سيد غازي في مقدمة "ديوان الموشحات الأندلسية" / د. زكريا عناني في مؤلفه "الموشحات الأندلسية" ...